مجلّة بيبليا ٤٧ (٢٠١٠) ٥٥-٦٠.

إنجيل الناصريّين

الأخت روز أبي عاد

مفهوم اليهو-مسيحيّة

قبل التكلّم عن إنجيل الناصريّين، لا بدّ من التعريف على الجماعة التي يُنسَب إليها. فالناصريّون هم إحدى الفئات الثلاث التي كانت تشكّل سوية ما يدعى باليهو-مسحيّين. ونقصد بهؤلاء مسيحيّين متحدّرين من أصل يهوديّ، يجمعون بين الديانة اليهوديّة بما فيه الشريعة الموسويّة وما تستلزمه الممارسات المسيحيّة. هذا بالإضافة إلى أنّه لا يمكننا أن نضع جميع اليهو-مسيحيّين على مستوى واحد من العقائد والممارسات، بحيث أنّ لكلّ فئة ميزاتها الخاصّة بها:

الفئة الأولى: نعني بها اليهود الذين إعترفوا بأنّ يسوع هو نبيّ ومسيح وليس إبن الله. فكانوا جماعة متوسطة بين اليهود والمسيحيّين، أكثر ما تتمثّل بالإبيونيّين. وربّما كانوا على صلة مباشرة بالفورة السياسية والمسيحانيّة التي كانت تهزّ العالم اليهوديّ آنذاك، وبالتحديد ما بين عامَي ٤٠ و٧٠ ب.م. قد نجد صدىً لتحرّكات هذه الجماعة في رسائل بولس الرسول إلى الكورنثيّين والكولوسيّين والغلاطيّين. كانت هذه الفئة من اليهو-مسيحيّين توفيقيين، بحيث كان من السهل أن تتداخل في بعض الأحيان مبادئ الإبيونيّة والغنوصيّة.

والفئة الثانية: تدلّ على الجماعة المسيحيّة في أورشليم برئاسة يعقوب وإتّجاهاته التي تتعارض وأهداف بولس الرسول. إنّها تمثّل الوسط القويم، الذي ظلّ مرتبطًا ببعض مظاهر الحياة اليهوديّة دون أن يُلزم بها المهتدين الآتين من الوثنيّة. لقد ظلّ وهج كنيسة أورشليم ويعقوب ساطعًا حتّى سنة ٧٠ م.، وهذا ما حدا بالرسول بولس إلى النضال لتأكيد نظرياته إزاء المعارضة التي واجهها من قبل يعقوب. بعد سقوط أورشليم إضمحل هؤلاء اليهو-مسيحيّون، علمًا إنّهم كانوا يعرفون بإسم الناصريّين، وإليهم يعود تأليف "إنجيل الناصريّين" أو "الإنجيل بحسب العبرانيّين". عُرف الناصريّون بتشبّثهم بلاهوت قديم يتعلّق بالإله الواحد وبمسيحانيّة يسوع. ولكن، خلافًا للإبيونيّين، يفترضون ألوهيّة المسيح[1]. بعد أن طُرد اليهود من أورشليم، ذاب الناصريّون ما بين الإبيونيّين أو الجماعات الهلّينيّة.

أمّا الفئة الثالثة من اليهو-مسيحيّين فهي كناية عن مسيحيّين لا يرتبطون بالجماعة اليهوديّة ولكنّهم يعيشون في إطار يقتبس بنيته من الدين اليهوديّ. وبالتالي، تأخذ مفردة يهو-مسيحيّة معنى أرحب، فتشمل الأشخاص الذين انفصلوا كلّيًّا عن الوسط اليهوديّ ولكنّهم ما زالوا يفكّرون في منطقه، كالرسول بولس الذي كان يبشّر بيسوع المسيح

[1] Cf. J. DANIÉLOU, *Histoire des doctrines chrétiennes avant Nicée, théologie du judéo-christianisme*, Paris 1958, 18.

إنطلاقًا من تجذّره بالعهد القديم. فالمسيحيّة التي في حوض البحر الأبيض المتوسّط ظلّت ذات هيكليّة يهوديّة وذلك منذ بدايتها وحتّى منتصف القرن الثاني ميلاديّ حيث شرح المسيحيّون إيمانهم بواسطة تعابير يهوديّة[٢].

إنجيل الناصريّين أو الإنجيل بحسب العبرانيّين

يشكّل إنجيل الناصريّين، بالإضافة إلى إنجيل الإبيونيّين وإنجيل العبرانيّين مجموعة من الأدب اليهو–مسيحيّ الذي كان عرضة للجدل. ولكن، علينا تمييز هذا المؤلَّف عن إنجيل الإبيونيّين؛ بحيث إنّ هذا الأخير هو كناية عن تعديل لاحق لإنجيل الناصريّين وبسبب هذا التعديل إصطبغ إنجيل الإبيونيّين بنزعة إبتداعيّة. أمّا إنجيل الناصريّين فلقد ذكره إكليمنضوس الإسكندريّ[٣]، كما إستشهد به أوريجانوس ودعاه "الإنجيل بحسب العبرانيّين"[٤] كذلك روى أوسابيوس القيصريّ أنّه كُتب باللغة العبريّة، وبعده تبعه إيرونيموس في هذه التسمية دون أن يحدّد المرجع الذي إستقى منه[٥].

يتمّز إنجيل الناصريّين عن غيره من الكتب غير القانونيّة، إذ يضعه أوسابيوس القيصريّ في فئة الكتب المدرجة في مكان وسط ما بين الكتب القانونيّة للعهد الجديد والكتب البدعيّة، والتي تحظى باحترام مميّز، دون أن تُسند إليها المقاييس التي تدخل في تصنيف الكتب القانونيّة[٦].

يُطلق إسم إنجيل الناصريّين أو الإنجيل بحسب العبرانيّين على مؤلَّف لم يصلنا منه أيّة نسخة كاملة، بل فقط شذرات متفرّقة، بالإضافة إلى التنويهات إليه من قبل آباء الكنيسة وغيرهم في الردحة الزمنيّة ما بين إكليمنضوس الإسكندريّ (١٥٠–٢٢٠م.) وحتّى إيرونيموس (٣٤٧–٤٢٠م.). أخيرًا يفيدنا أوسابيوس القيصريّ أنّ إنجيل الناصريّين كان منتشرًا بكثافة ما بين الجماعات اليهو–مسيحيّة، ويذكر أنّه وجد تعليمًا في الإنجيل السائد بين اليهود والمكتوب باللغة العبريّة[٧].

بيئته

---

[٢] لا يقتصر اللاهوت المسيحيّ في القرون المسيحيّة على اللاهوت اليهو–مسيحيّ، بل يتنوّع تبعًا للمناطق والجماعات التي تتفاعل معه: ففي آسيا الصغرى نجد التيّار الرؤيويّ والمسيحانيّ، وفي روما وإنطاكيا نلاحظ التأثير الأسّينيّ الذي يتجلّى في "الراعي هرماس"، وفي الكنيسة السريانيّة الشرقيّة ندرك بصمات التأثير الرابّينيّ في "أناشيد سليمان"، بالإضافة إلى تأثير فيلون الإسكندريّ الذي يعكس الفلسفة الإغريقيّة.

[3] Cf. Clément d'ALEXANDRIE, *Les Stromates* II, 9,45 et V, 14, 96.

[4] ORIGÈNE, *Commentaire sur saint Jean* II, 12 ; id. *Commentaire sur l'Evangile selon Matthieu* XV, 14.

[5] Cf. JÉRÔME, *Commentaire sur Isaïe*, XI, 2.

[٦] في لائحة المؤلَّفات التي تندرج في لائحة إنجيل الناصريّين يذكر أوسابيوس "أعمال بولس"، "الراعي هرماس"، "رؤيا بطرس"، "رسالة برنابا"، "تعليمات الرسل" و"رؤيا يوحنّا"، Cf. Eusèbe d'ALEXANDRIE, *Histoire ecclésiastique* III, 25, 4-5

[7] Cf. Eusèbe de CÉSARÉE, *Sur la Théophanie* IV, 12.

بأيّة بيئة يرتبط إنجيل الناصريّين؟ فالتلميح إلى أولوية يعقوب يحملنا مباشرة على التفكير بكنيسة أورشليم وباليهو–مسيحيّين الذين ينتمون إليها. وهذا ما تُثبِته الشهادات. فلقد إلتقى أبيفانوس وإيرونيموس في سوريا بآخر ممثّلين هؤلاء اليهو–مسيحيّين من أورشليم، وكانوا يتميّزون بأمانتهم على التقاليد اليهوديّة كالمحافظة على السبت والختان والتوجّه أثناء الصلاة نحو أورشليم[٨]. بالإضافة إلى كون إيرونيموس قد قرأ لديهم إنجيل الناصريّين المكتوب بلهجة آرامية ولكن بأحرف عبريّة[٩]. هناك بعض التنويه لدى إيرونيموس أنّ هذا المؤلَّف كان يعتبر قانونيًّا وكان بمثابة إنجيل متّى لدى المتهوّدين[١٠]. إنجيل الناصريين هو إذًا إنعكاس للتفكير اليهو–مسيحيّ المتزمّت، ويعود إلى مسيحيّين مستقيمي الإيمان ولكنهم ما زالوا ملتزمين بالعالم اليهوديّ.

ما من أدنى شك من أنّ المؤلَّف ينتمي إلى الأدب اليهو–مسيحيّ، والاستشهادات تؤكّده لنا. فالروح يدعى "أمًا"[١١]، وهذا ما يفترض اللفظة العبريّة רוּחַ (روح) وفي مكان آخر، وبعد معموديّة يسوع، يقول الروح له "أنت هو ابني الحبيب" وهذا ما يفترض أيضًا الصفة الأنثويّة للروح[١٢]. وأخيرًا فالمسيح يظهر أوّلاً ليعقوب وهو أوّل مَن يدعوه لمشاركته الطعام[١٣].

أمّا بالنسبة إلى محيط نشأته، فهو يعود إلى سوريا، بحيث إنّ إيرونيموس قد قرأه في بيرية، وهو الإسم القديم لمدينة حلب الحالية، أمّا إغناطيوس فتعرّف إليه في إنطاكيا منذ بداية القرن المسيحيّ الأوّل. ولكن، من ناحية أخرى، يستشهد به أوريجانوس في الاسكندريّة. فإلى سوريا ومصر إلتجأ اليهو–مسيحيّون بعد كارثة سنة السبعين.

تاريخه

يعود تاريخ تدوين إنجيل الناصريّين إلى زمن بعيد جدًا، فهو يحوي عناصر آراميّة بدائيّة. ومن المرجّح أن يكون قد قرأه إغناطيوس الانطاكيّ والدليل على ذلك هو أنّه هو نفسه قد كتب: "عندما أتى يسوع إلى بطرس وإلى الذين كانوا معه، قال لهم: أنظروا، إلمسوني وتأكّدوا أنّي لست شيطانًا دون جسد"[١٤]. والحال، أنّ هذا الكلام مقتبس من

---

[8] Cf. EPIPHANE, *Panarion XXIX*, 1-3.

[9] Cf. JÉRÔME, *Contre les pélagiens*, III, 2.

[١٠] في كتابه JÉRÔME, *Les Hommes illustres*, III، يقول إيرونيموس أنّه في كلّ مرّة يستشهد فيها كاتب إنجيل الناصريّين بالعهد القديم لا يعود إلى النصّ العبريّ بل إلى النسخة السبعينيّة، وفي مؤلَّف آخَر له تحت عنوان JÉRÔME, *Contre les pélagiens*, III,2، يذكر "الإنجيل بحسب العبرانيّين" الذي دُوِّن باللغة الآراميّة والسريانيّة ولكن بالأحرف العبريّة والذي يستخدمه الناصريّون حتّى تاريخه والذي يدعوه بعضهم "الإنجيل بحسب الرسل" وغيرهم "الإنجيل بحسب متّى"، هذا الإنجيل موجود في مكتبة قيصريّة، وأخيرًا في كتابه JÉRÔME, *Commentaire sur Matthieu*, II يشير إيرونيموس إلى إنجيل الناصريّين الذي يستعمله الناصريّون والإبيونيّون، والذي ترجمه مؤخّرًا من الآراميّة إلى اليونانيّة والذي يُعتبَر من قبل الكثيرين أنّه النسخة الأصليّة لإنجيل متّى.

[11] Cf. ORIGÈNE, *Commentaire sur saint Jean*, Paris 1975, II, 12.

[12] Cf. JÉRÔME, *Commentaire sur Isaïe*, XI, 2

[13] Cf. JÉRÔME, *Commentaire sur Michée*, VII, 7.

[14] Cf. Ignace d'ANTIOCHE, *Smyrniotes*, III, 2.

الإنجيل الذي نحن بصدده. هنا لا بدّ من الإشارة إلى إفادة أوسابيوس القيصريّ الذي يعود بتاريخ تدوين رسائل إغناطيوس الإنطاكيّ إلى زمن حكم تراجان (٩٨-١١٧) وبالتالي، فمن المحتمل أنّ هذا التاريخ يرقى إلى حوالى ١١٠م. من ناحية أخرى، نجد إستشهادًا بهذا الإنجيل عينه حوالى ١٨٠ م. يعود إلى إيجيزيبوس، اليهوديّ المهتدي إلى المسيحيّة، حيث يدعوه "الإنجيل السريانيّ"[١٥].

هناك مَن يربط تدوين إنجيل الناصريّين بالمرحلة التي تسبق التشتّت الذي طال اليهود سنة السبعين، وبالتالي ينسبه إلى المحيط الفلسطينيّ[١٦]، فيصبح الإنجيل المذكور ينتمي إلى المؤلّفات اليهو-مسيحّية الأكثر قدمًا، إذًا هو يعود إلى نهاية القرن المسيحيّ الأوّل أو إلى النصف الأوّل من القرن الثاني.

لغته

لقد أفادنا كلٌّ من إيجيزيبوس وأوسابيوس وأبيفانوس وإيرونيموس أنّ إنجيل الناصريّين كُتب بادئ ذي بدء باللغة الأراميّة قبل أن يترجم إلى اليونانيّة واللاتينيّة والسريانيّة والتي ما زالت موجودة حتّى يومنا. وهذا ما حمل البعض أحيانًا على مطابقته مع النصّ الأصليّ الإفتراضيّ الذي يعود إلى إنجيل متّى، والذي ما زال الباحثون في طور التفتيش عنه. أمّا المرجع الذي يعتمدون عليه، فهو ما جاء على لسان بابياس الهيرابوليسيّ الذي أشار في بداية القرن الثاني إلى إنجيل الناصريّين، وأفاد أنّه كُتب بالعبريّة[١٧]. ولكنّ العلماء لم يتمكّنوا من تأكيد هذه المقولة، بحيث هناك من يقول أنّه من المحتمل أن يكون إنجيل الناصريّين قد دُوّن أوّلاً باليونانيّة.

الهيكليّة والمضمون

من المؤكّد أن هيكليّة إنجيل الناصريّين كانت مشابهة لهيكليّة الأناجيل الإزائيّة، وبنوع خاصّ لإنجيل متّى[١٨]. والواقع أنّ القواسم المشتركة بين إنجيل الناصريّين وإنجيل متّى هي عديدة؛ فمن تسمية "الناصريّين" التي تفتتح إنجيل الناصريّين والتي تجد لها صدىً في متّى ٢: ١٥، ٢٣، إلى سائر المراحل الرئيسيّة من حياة يسوع على الأرض، بما فيها النشاطات التي قام بها. بشكل عامّ، وبالتوازي مع إنجيل متّى، يحوي إنجيل الناصريّين سردًا عن ميلاد يسوع وعماده وتعاليمه بما فيها عظة الجبل، وخطاب الإرسال، وحديثه عن يوحنّا المعمدان، وصرخة الابتهاج ورأيه في المهووسين بغسل الأيدي، وانتقاده للذين يطلبون الآيات، وإعتراف بطرس بمسيحانيّته، ورواية الرجل الغني، وخطابه ضدّ الفريسيّين، ومثل

[15] Cf. Eusèbe de CÉSARÉE, *Histoire Ecclésiastique*, IV, 22, 8.
[16] Cf. J., DANIÉLOU, *op. cit.*, 34.
[17] Cf. Eusèbe de CÉSARÉE, *Histoire ecclésiastique*, III, 39,16 ; cf. aussi Wilhelm SCHNEEMELCHER, *New Testament Apocrypha*, Louisville 1992, 154.
[18] Cf François BOVON - Pierre GEOLTRAIN, *Écrits apocryphes chrétiens*, Paris 1997, 434 ; Wilhelm SCHNEEMELCHER, *op. cit.*, 154.

الوزنات وعجائبه بما فيه شفاؤه لليد اليابسة، ونكران بطرس له، وإطلاق سراح برأبّا وآلامه والعجائب التي إصطحبتها ودفنه والحرس عند القبر. علاوة على ذلك، فإنّ حجم إنجيل الناصريّين كان يقارب حجم إنجيل متّى، أي إنّ الأوّل بلغ ٢٢٠٠ سطرًا في حين أنّ الثاني وصل إلى ٢٥٠٠ سطرًا. وعليه، فهذا التماثل القريب في البنية والمضمون حمل البعض على الإعتقاد بأنّ مضمون إنجيل الناصريّين كان مطابقًا جدًا لإنجيل متّى[١٩].

من ناحية أخرى، يختلف النصّان أحدهما عن الآخر، وعلى نقاط عديدة، منها الاختلاف بالأسلوب. فإنجيل الناصريّين يحوي مقاطع ثانوية، في حين يفتقدها إنجيل متّى[٢٠]، بالإضافة إلى مقاطع أخرى لا علاقة لها بالتقليد الإزائيّ ولكنها تعود إلى القرون المسيحيّة الأولى[٢١]. وأخيرًا، في ما يخصّ العقيدة فإنّ ما بقي محفوظًا من إنجيل الناصريّين لا يُظهر أيّ صفة متشيّعة أو منحازة، ويلتقي بذلك مع الأناجيل القانونيّة التي تذكر موقف المسيحيّين إزاء اليهود الذين تصدّوا لرسالة يسوع المسيح[٢٢].إذًا، لا ضير من إفتراض إرتباطه بمجموعات آرامية يهو–مسيحيّة البعيدة كلّ البعد عن الصفة البدعيّة.

الفنّ الأدبيّ

تتشابه طريقة تدوين إنجيل الناصريّين بالأناجيل الإزائيّة، وتتأكّد وجوه الشبه، بنوع خاصّ، من خلال مقارنته مع إنجيل متّى، وذلك إنّ على صعيد السرد أو على صعيد الخُطَب. فقراءة المقطع ١٦ من إنجيل الناصريّين تعيدنا إلى قصّة الشاب الغني في متّى ١٩: ١٦–٣٠، مع الفارق بأنّ الأوّل يتكلّم عن رجلين ثريَّين في حين أنّ الثاني يتكلّم عن واحد ليس إلاّ. ترد هذه الظاهرة أكثر من مرّة في العهد الجديد، فنرى المضاعفات بالعدد كما هي الحال في متّى ٢٠: ٢٩ي ومرقس ١٠: ٤٦ي وهي تدلّ على مرحلة لاحقة من التقليد.

بالعودة إلى المقطع ١٦ من إنجيل الناصريّين، يمكننا أن نتخيّل الوضع بسهولة: فيسوع وبطرس جالسان قرب بعضهما، والرجل الغني الذي عبّر عن عدم رضاه على جواب يسوع، أخذ يحكّ رأسه يدلّ على "أسلوب فلسطينيّ"[٢٣]، أمّا

---

[١٩] ومن ثمّ فلا عجب أن يطلق بعضهم مقولة أنّ إنجيل الناصريّين هو النسخة الأخرى لإنجيل متّى القانونيّ، علمًا أنّ هذا الاعتقاد يظلّ مفتوحًا للنقاش، Cf. Wilhelm SCHNEEMELCHER, *op. cit*, 154.

[20] Cf. François BOVON - Pierre GEOLTRAIN, *op.cit*, 434.

[٢١] في المقطع السادس عشر من الترجمة اللاتينيّة هناك حاشية تعود إلى أوريجانوس المتبَحّل تفيد ما يلي: "هذا ما هو مكتوب في أحد الأناجيل، المعروف "بحسب العبرانيّين" – المفترَض بأن يؤخَذ بعين الاعتبار، ليس بمثابة نموذج بل كإيضاح للسؤال المطروح". ومن ثمّ يكمل النصّ "سأله أحد الرجلين الأغنياء: "ما عليّ أن أعمل من الصلاح لأحيا؟" إلخ.

[٢٢] في كتابه *Commentaire sur Matthieu, IV*، يضيف القدّيس إيرونيموس أنّ في الإنجيل الذي غالبًا ما نذكره، قد إنشقّت وتحطّمت عتبة الهيكل، ذي الحجم الضخم. ربّما نجد هنا صدىً لما جاء في وصف يوسيفوس فلافيوس حول دمار الهيكل Cf. Josèphe FLAVIUS, *Guerre des Juifs*, Paris 1982, VI, 293-300.

[23] Cf. J. JEREMIAS, *Paroles inconnues de Jésus*, Paris 1970.

عبارة "إبن إبراهيم" ومفردة "إخوتك" التي تعني إبن البلد وإبن الديانة اليهوديّة، كذلك الأمر في ما يخصّ عبارة "لا يخرج صالحًا" فكلّها ملامح تضفي الطابع السامي على إنجيل الناصريّين. وفي المقطع نفسه، نجد أنّ خطاب يسوع يرد بتوسّع ويصطحبه وصف تصويريّ للشقاء السائد، هو يشدّد على ضرورة تتميم ما جاء في الشريعة والأنبياء. نجد هنا إقتراحًا لحافز إجتماعيّ غير موجود في متّى ١٩: ١٦ي؛ حيث تبدو في هذا الأخير الأهمّيّة البالغة في العزوف عن الخيرات بغية إتّباع المسيح، في حين أنّ الدافع في إنجيل الناصريّين هو المحبّة، وهكذا يتحوّل البعد الاسكاتولوجيّ للحديث إلى بعد خُلُقي وهذا أمر طبيعي للتطوّر في التقليد.

ونأتي إلى المقطع العاشر الذي يعطينا هو أيضًا طابعًا ثانويًا آخر، فيخبرنا عن قصّة شفاء الرجل ذي اليد الشلاّء ولكن القصّة في إنجيل الناصريّين تتوسّع من خلال عرض الرجل ليسوع عن حالته ومن ثمّ طلبه منه الشفاء، ومن جديد فالهدف هو دافع إجتماعيّ.

خاتمة

تكمن أهمّيّة الأناجيل المنحولة كونها تعود إلى ينابيع وتقاليد غير تلك التي إستقى منها الإنجيليّون القانونيّون، وهذا ما يعطي فكرة عن التنوّع والغنى للتيارات التي كانت تعصف في القرون المسيحيّة الأولى، بغضّ النظر عن نقاوة الإيمان واستقامته. فإذا كان لا بدّ من الإفادة لنا من هذه الكتابات غير القانونيّة، يمكننا أن نقرأها بمنظار تاريخيّ وأدبيّ ليس إلاّ، مع العلم أنّها قد تترصّع بحكم وأقوال ذات قيمة إنسانيّة.

من ناحية أخرى، تحمل لنا المؤلّفات غير القانونيّة أهمّيّة قصوى تشير على النمو التدرّجيّ بين الله والإنسان. فالله المربّيّ، إستغرق أجيالاً عديدة ليكشف عن ذاته بصورة تدريجيّة للإنسان، هكذا، وبالطريقة عينها، سينتظره طويلاً ليتبلور وحيه بصورة جليّة ويفهم تدابيره الخلاصيّة له.

المراجع

CLÉMENT D’ ALEXANDRIE, *Les Stromates*.
IGNACE D’ANTIOCHE, *Smyrniotes*.
BOVON François – GEOLTRAIN Pierre, *Écrits apocryphes chrétiens*, Paris 1997.
DANIÉLOU Jean, *Histoire des doctrines chrétiennes avant Nicée, théologie du judéo-christianisme*, Paris 1958.
ÉPIPHANE, *Panarion*.
EUSÈBE DE CÉSARÉE, *Histoire ecclésiastique*.
___, *Sur la Théophanie*.
FLAVIUS Josèphe, *Guerre des Juifs*, Paris 1982.
JEREMIAS J., *Paroles inconnues de Jésus*, Paris 1970.

JÉRÔME, *Commentaire sur Matthieu*.
___, *Commentaire sur Isaïe*.
___, *Commentaire sur Michée*.
___, *Contre les pélagiens*.
___, *Les Hommes illustres*.
ORIGÈNE, *Commentaire sur saint Jean*.
___, *Commentaire sur l'Évangile selon Matthieu*.
SCHNEEMELCHER, Wilhelm, *New Testament Apocrypha*, Louisville 1992.